بسم الله الرحمن الرحيم

(الصفح الجميل)

الخطبة الأولى

أما بعد:

عباد الله: مَن منا لا يسعى من أجل عفو الله ومغفرته؛ ما من أحد إلا وهو يسعى لذلك، قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)([[1]](#footnote-1)).

أيها المؤمنون: إن غاية العبادة أن تدخلك في مرضاة الله وجناته، ومغفرته ورحمته، سبحانه وتعالى.

ودواعي هذه المغفرة التي نطلبها من الله عز وجل أشياء كثيرة.

فهناك أمر يسير وبسيط، وسهل على الناس، ولكن للأسف لا يقوم به الكثير، إنه العفو والصفح، يقول الله تعالى: (وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)([[2]](#footnote-2)) وقال تعالى: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّه)([[3]](#footnote-3)).

وقال تعالى: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)([[4]](#footnote-4)).

قال ابن كثير رحمه الله: (وهذه الآية نزلت في الصديق أبو بكر رضي الله عنه)([[5]](#footnote-5)).

كان أبو بكر رضي الله عنه يحسن إلى مولاه مسطح، ويعطيه من الخيرات ومع ذلك خاض في عرض مولاه أبي بكر الصديق وعرضِ النبي صلى الله عليه وسلم.

فقال أبوبـكر رضي الله عنه: (وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى) إِلَى قَوْلِهِ: (أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا)([[6]](#footnote-6)).

يقول ابن كثير رحمه الله: لما نزلت هذه الآية إلى قوله: (أَلاَ تُحِبّونَ أَن يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ) الآية, أي: فإن الجزاء من جنس العمل, فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك, وكما تصفح نصفح عنك)([[7]](#footnote-7)).

عباد الله: إن العفو والتسامح من القيم الإنسانية الراقية، والمبادئ الإسلامية الفاضلة، وحقيقته: حب الخير للناس، واحترامهم وتقديرهم، واللين في التعامل معهم، ومقابلتهم بالإحسان، ورؤية فضلهم وحسناتهم، والصفح عن أخطائهم وزلاتهم.

تأملوا -عباد الله- إلى بعض الخلافات وقد تكون بين الأقارب، لا يتحمل بعضهم من بعض، وإذا بدر من أحدهم خطأ أعرض الآخر عنه، وقابل تلك الإساءة بالصدود والإعراض والتقاطع، والتهاجر والتدابر، وديننا يحث على العفو، ولو لم يكن -يا عبد الله- في العفو إلا أن العافي يقع أجره على الله، والعطية على قدر معطيها لكــفى بــها خيراً في الدنيا والآخرة.

فإن من صفات الله عز وجل أنه عفوٌّ قدير، كريمٌ حليم، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾([[8]](#footnote-8)).

ويعفو سبحانه وتعالى -وهو أهل العفو والغفران- عن أهل العفو عمن أساء: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾([[9]](#footnote-9)).

والله عز وجل يقول: (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)([[10]](#footnote-10)).

ما هو الصفحُ الجميل؟

هو الصفحُ الذي لا أذية فيهِ، بل تقابل إساءة المسيءِ بالإحسان، وذنبه بالغفران، لتنال من ربك جزيلَ الأجرِ والإحسانِ والغفرانِ.

إنّ العفو والصفح الجميل: دعامة من دعائم العلاقات الإنسانية الإسلامية، فقد أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال الله عز وجل: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)([[11]](#footnote-11)).

عباد الله: هل نسينا ذلك الموقف العظيم حينما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة ومعه عشرة آلاف فاتح.

وكان كفار قريش بما فيهم من آذى النبي صلى الله عليه وسلم: قد قدموا رقابهم للنبي صلى الله عليه وسلم، ولسان حالهم: لا مفر هذا اليوم من محمد صلى الله عليه وسلم.

فالنبي صلى الله عليه وسلم كان ينظر إلى الناس، وهم يترقبون ما ذا سيفعل صلى الله عليه وسلم بهم؟

وكان صلى الله عليه وسلم يريد أن يعرف ردة أفعالهم، فقال لهم حين وصل إلى الكعبة: (ما ذا تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء)([[12]](#footnote-12)).

هذا هو الموقف النبيل الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم.

فلذلك كان العفو والصفح الجميل إنما هو من أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع الجموع ومع أنفسهم.

ففي الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»)([[13]](#footnote-13)).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ \* وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾([[14]](#footnote-14)).

عباد الله: هذا هو الصفحُ، وهذا هو العفو، الذي نحتاجه اليوم في كثير من الأمور، سواء في بيوتنا أوفي أعمالنا، أو مع أهلنا وذوينا، أو مع أقراننا وزملائنا، أو مع من أساء إلينا.

الخطبة الثانية:

عباد الله: إن العفو عن الناس والصفح لا كما يفهمه البعض أنه ضعف وخور؛ بل هو قوة وشيمة وإيمان، وعلاقة بربنا الديان، سبحانه وتعالى.

إن العفوَ عن الناسِ والصفح لدليل الرجولة والمروءة، وعنوان سلامة الصدر من الغش والحقد، والحسد والضغينة.

عباد الله: أما الانتصار للنفسِ، والتشفي والانتقام، فهو دليل ضعف النفس وحب الذات، ودليل الغلظة والفظاظة، وقسوة القلب، وضيق العقل.

المنتقم عدو لعقله يغضب لأتفه الأسباب، ويجلب لنفسه العداوات والكدر، والاضطراب والقلق، بل الوهن في جسده.

أيها المسلمون: ليس معنى ذلك أن يقوم الإنسان بالعفو والصفح عن المجرمين، أو عن الذين ينتهبون الحرمات والحقوق، فالله عز وجل يقول: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون)([[15]](#footnote-15)).

هذا أبو عزة الجمحي([[16]](#footnote-16)) كان شاعراً وكان من أسرى بدر، وقد حُدد مبلغ أربعة آلاف درهم فداء لكل أسيرمنهم([[17]](#footnote-17)).

فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (يَا مُحَمَّدُ إِنَّ لِي خَمْسَ بَنَاتٍ لَيْسَ لَهُنَّ شَيْءٌ فَتَصَدَّقْ بِي عَلَيْهِنَّ، فَفَعَلَ، وَقَالَ أَبُو عَزَّةَ: أُعْطِيكَ مَوْثِقًا أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ وَلَا أُكْثِرَ عَلَيْكَ أَبَدًا، فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أُحُدٍ خرج معهم فَأُسِرَ وَلَمْ يُؤْسَرْ غَيْرُهُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّمَا أُخْرِجْتُ كَرْهًا وَلِي بَنَاتٌ فَامْنُنْ عَلَيَّ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَيْنَ مَا أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ؟ لَا، وَاللهِ لَا تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ بِمَكَّةَ تَقُولُ: سَخِرْتُ بِمُحَمَّدٍ مَرَّتَيْنِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ)([[18]](#footnote-18)).

عباد الله: إذن ليس من العفو أن تستسلم لعدو غاصب، انتهك الحرمات، وأفسد العقائد، وأفرغ القيم، وزور التاريخ.

فالمؤمنون الصادقون: (إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ)([[19]](#footnote-19)).

أجمل العفو أن يكون بينك وبين أرحامك وإخوانك، بين خلانك، بين أهلك وذويك، لأنها دلالة على إيمانك ورفعة مكانك.

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أحْـقِدْ عَلَى أحَدٍ أرحتُ نفسي من همَّ العـــداواتِ

إنِّي أُحَيي عَدُوِّي عنْدَ رُؤْيَتِــهِ لأدفـــــعَ الشَّرَّ عني بالـتــحياتِ

وأُظْهِرُ الْبِشرَ لِلإِنْسَانِ أُبْغِضه كما إنْ قـدْ حَشى قَلْبي مَحَبَّاتِ([[20]](#footnote-20))

1. () [الذاريات: 56]. [↑](#footnote-ref-1)
2. () [التغابن: 14]. [↑](#footnote-ref-2)
3. () [الشورى 40]. [↑](#footnote-ref-3)
4. () [النور: 22]. [↑](#footnote-ref-4)
5. () (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير: (3/336)، الناشر: دار الكتب العلمية، - بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ . [↑](#footnote-ref-5)
6. () صحيح البخاري (1407 – 1987)، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، وصحيح مسلم (56-7120)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

   . [↑](#footnote-ref-6)
7. () (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير: (3/336). [↑](#footnote-ref-7)
8. () [الشورى: 25]. [↑](#footnote-ref-8)
9. () [النساء: 149]. [↑](#footnote-ref-9)
10. () [الحجر: 85]. [↑](#footnote-ref-10)
11. () [المائدة: 13]. [↑](#footnote-ref-11)
12. () رواه البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه في السنن الكبرى، (18276)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م. [↑](#footnote-ref-12)
13. () : صحيح البخاري (3477)، وصحيح مسلم 105 - (1792). [↑](#footnote-ref-13)
14. () [فصلت: 34، 35]. [↑](#footnote-ref-14)
15. () [البقرة: (179)]. [↑](#footnote-ref-15)
16. (( اسمه عمرو بن عبد الله، وكان شاعرًا يحرض بشعره على قتال المسلمين: تهذيب الأسماء واللغات: (2/260) المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. [↑](#footnote-ref-16)
17. () معجم الطبراني الكبير: (11/ 40)، والسيرة النبوية لابن هشام، (3/196), الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955م . [↑](#footnote-ref-17)
18. () السنن الكبرى للبيهقي: (9/111). [↑](#footnote-ref-18)
19. () [الشورى: (39)]. [↑](#footnote-ref-19)
20. (( ديوان الإمام الشافعي: (1/21)، المؤلف:  [محمد بن إدريس أبو عبد الله](https://app.alreq.com/ar/Authors/Author/165c5276-5df5-4508-f6f5-08d7902f2e12) الشافعي. [↑](#footnote-ref-20)